جامعة تكريت
كلية التربية للعلوم الانسانية
قسم الجغرافية- الدراسات الاولية

عنوان المحاضرة

التجديد في الجغرافية المعاصرة

المرحلة: الرابعة

مادة: الفكر الجغرافي

مدرس المادة: أ.م.د. حسين علاوي محمد

2026

التجديد في الجغرافية المعاصرة

يعد علم الجغرافيا من أقدم العلوم التي اهتم بها الإنسان، ويمثل ظهور هذا العلم انعكاساً لغريزة حب الاستطلاع التي ظهرت مع ظهور الإنسان على سطح الأرض وبداية تعميره لهذا السطح، والتي ولدت لديه ملكة الملاحظة، التي أتت بدورها إلى تأمله فيما حوله من ظاهرات، ومن ثم إلى بداية علم الجغرافيا، ومن ثم كان التغيير change الذي لاحظ الإنسان الأول حدوثه في بيئته المباشرة قد أدي إلى التفكير في تفسير interpretation لما حدث، سواء أكان هذا التغيير مكانيا أو زمانيا، مكانيا بانتقال هذا الإنسان إلى بيئات مجاورة لبيئته وملاحظته الاختلافات القائمة بينهما، أو زمانيا بمتابعته لما يطرأ علي بيئته ذاتها من تغيرات عبر الفترات الزمنية المختلفة.

والفكر الجغرافي تيار متجدد يشبه في جريانه أو سريانه عبر العصور شهراً تقع منابعه على سواحل البحر المتوسط الشرقي في بلاد اليونان ... بينما مصبه هو الفكر الجغرافي الحديث والمعاصر ... عبر دلتاه المتمثلة في الفكر الجغرافي الألماني النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

وخلال رحلة علم الجغرافيا منذ نشأته الأولى على يد جغرافيي اليونان إلي نضجه واتضاحه علي يد الجغرافيين الألمان في رحلة استغرقت نحو عشرين قرنا من الزمان خلال هذه الرحلة ارتفع المنحنى الفكري heoretical curve الدال على تطوره الفكري والمنهجي وانخفض مرارا وتكرارا، ليس فيما يشبه المنحنى المتجمع الصاعد بقدر ما يشبه حركة موجة البحر بحيث يمكن القول بشيء من التأكد أنه ربما كان العلم الوحيد الذي حدث له ذلك.

ولما كانت الفترة الحديثة من تاريخ علم الجغرافيا، والتي بدأت مع منتصف القرن التاسع عشر الميلادي وحتى الآن هي الفترة التي شهدت تطورات وتغيرات تفوق في عددها وفي أهميتها وتأثيرها كل ما شهده العلم من هذه التطورات والتغيرات منذ نشأته وحتى بدايتها فإنها قد اختيرت لتكون مجالا زمنيا للدراسة، التي تهدف إلى تحديد نقاط التجديد الفكرية التي أدت كل واحدة منها يعلم الجغرافيا إلى إحداث اتجاه جديد نحو التغير الفكري والمنهجي، سواء أكان هذا الاتجاه يمثل تعميقا للفكر الجغرافي أو تعويقا له وعلي هذا الأساس فقد تكون نقطة التجديد هذه معمقة للفكر الجغرافي نظرياً ومنهجيا أو قد تكون معوقة لمساره، مثبطة لتياره، ومقيدة المرونة أفكاره.

ويعرف علم الجغرافيا الحديث مصطلح نقطة التجديد knick point وذلك في علم الجيمورفولوجيا وهى تعني تلك المنطقة التي يأخذ عندها مجرى النهر في

التجديد في الفكر الجغرافي المعاصر :

على الرغم من قدم المعرفة الجغرافية، والتي يبلغ عمرها الآن نحو الألفي سنة أو أكثر ، إلا أن الفكر الجغرافي المعاصر هو وليد جهود فلاسفة الموضوع وخلاصةأبحاثهم منذ منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، لأن ما حدث من تطورات وتغيرات في مفاهيم ومناهج وأساليب بحث الجغرافيا منذ ذلك التاريخ وحتى الوقت الراهن يفوق كل ما حدث من تطورات خلال القرون السابقة من عمر العلم).

ولا يعنى هذا أن الجغرافيين الأقدمين لم يكن لهم دور في التطور الفكري لعلم الجغرافيا فقد حددت أفكار كل من سترابو Strabo و بطليموس

Polemy مفهوم الجغرافيا وهدفها بدرجة كبيرة من الدقة عندما أشاركل منهما في كتاباته إلى وجوب اهتمام الجغرافيا بالموقع location والترابط المتبادل بين مختلف الأماكن على سطح الأرض، باعتبارها – أي الأماكن – أجزاء من كل وبأن فكرة المكان تكونها المزايا الطبيعية التي يمتلكها ذلك المكان ضمن إطار علاقته بالأماكن الأخرى على سطح الأرض، ولا يزال هذا المفهوم يمثل الروح الأساسية الفلسفة علم الجغرافيا، رغم التعقيدات والملابسات التي اكتنفت البحث الجغرافي على مر الزمن، كما أنه هو المفهوم الذي دارت حوله جهود بعث الفكر الجغرافي الحديث فيما بعد، ولهذا تعتبر هذه الأفكار نقطة تجديد فكرية عمقت مجرى الفكرالجغرافي وقد كان التوصل إلى كروية الأرض أكبر نقاط التجديد في تاريخ الفكر الجغرافي، فقد تعددت أفكار الفراعنة والبابليين وغيرهم من أصحاب الحضارات القديمة عن شكل الأرض ، ولكنها كلها بعدت عن الشكل الكروي

التجديد في الفكر الجغرافي المعاصر :

ولقد كان منتصف القرن التاسع عشر الميلادي هو الفترة الحاسمة في تطور علم الجغرافيا وذلك عندما أخذ هذا العلم كل معناه بانتقال ميدان دراسته من مرحلة الوصف إلى مرحلة جديدة تتسم باستيعاب الحقائق المكانية وفهمها بظهور أفكار كل من: همبولدت ،ورتر ، فقد بدأت الجغرافيا الحديثة بكتاباتهما وأفكارها، حيث لم تكن الجغرافيا قبلهما قد تحددت مفاهيمها أو اتضحت معالمها أو تبينت أهدافها

ويعود السبب في اعتبار كتابات وأفكار كل من "همبولت" وزير البداية الحقيقية للجغرافيا الحديثة التي أعطت لألمانيا قصب السبق في بلورة الأفكار الجغرافية، أنها ساعدت على نشوء اتجاهات جغرافية واضحة قامت عليها مدارس فكرية عديدة أسهمت في إنماء الفكر الجغرافي وإثرائه، لاسيما المدرسة الجغرافية الحتمية determinism وما قام للرد عليها من مدارس كالإمكانية possibilism ، فقد أدخل همبولت مبدأ السببية causality الجغرافيا، وهو المبدأ الذي نشأ على أساسه مفهوم الحتمية.

ورغم أنهما أرسيا قواعد الجغرافية الحديثة عندما ارتقيا بها إلى مستوى العلم الأصولي المنظم بعدما جعلاء علماً يبحث عن القوانين ويستمد بياناته من الطبيعة مباشرة بطريقة استقرائية تماشت مع المناهج العلمية المتبعة في زمانهما إلا أن جغرافيي القرنين السابقين علي كل من "همبولت" و "رتر" لم يحاولوا وضع مفهوم جغرافي يتضح من خلاله هدف يحدد معالم الطريق لكل مشتغل بالحقل الجغرافي بحيث يحمى هذا المفهوم ذلك المشتغل من الانزلاق إلى حقول تخصصات علمية أخرى، ويمكنه من التخصص في زاوية من زوايا العلم فيصبح عمله متميزا على غرار العلوم الأخرى).

ولكن الحقيقة والإنصاف يوجبان الاعتراف لكل من : " بيرنارد فيرانوس Verenuis وإيمانويل كانت بأنهما قد أسهما في التطور الفكري للجغرافيا، فقد حاول فيرانوس" بناء إطار جديد لمفهوم العلم عندما عرف الجغرافيا بأنها "ذلك القسم من المعرفة الذي يتكوّن من مزيج من الرياضيات التي تمكننا من وصف الأرض وأقسامها بطريقة كمية"، وبهذا يكون قد انتقل بالعلم من مرحلة الوصف إلى المرحلة الكمية قبل الثورة الكمية التي شهدتها الجغرافيا بعد ذلك بنحو قرنين من الزمان، كما أنه قد وضع الأسس الصحيحة لعناصر الدراسة الجغرافية بالتفرقة بين منهجي بحثها العام أو الأصولي systematic والخاص أو الإقليمي regional أي الجغرافيا العامة الأصولية والجغرافيا الإقليمية

الحقيقة هي: ولقد كان إنزال "كانت علم الجغرافيا من السماء إلى الأرض" يمثل صعودا بالجغرافيا إلى مرتبة علمية أفضل ... فقد أنزل كانت العلم ليمسح به سطح الأرض قلم بعد العلم يهتم أساسا بالأفلاك والنجوم إنما اتخذ من سطح الأرض مجالا له يمسحه عمليا ونظريا عمليا من خلال الدراسات الميدانية، ونظريا بما نتج عن الدراسات الجغرافية المتعددة من أنماط، وبهذا تكون بذور الجغرافيا الحديثة قد وضعت مع ظهور أفكار هذا الفيلسوف خاصة عندما اختلفت الجغرافيا الطبيعية عنده عما كانت عليه قبله في أنها قد خلت من الجغرافيا الرياضية أو الفلكية، وفي أنها قد أصبحت أساساً لدراسة الجوانب البشرية من الجغرافيا، بعدما اعتبر كانت الإنسان أحد العوامل الخمسة الرئيسة التي تحدث الكثير من التغيرات فوق سطح الأرض

وقد انحصر ميدان الدراسة الجغرافية. من وجهة النظر العلمية . فيما بين عام ١٧٧٥ وحتى نهاية عصر الفيلسوف "كانت في بعض ظاهرات سطح الأرض، خاصة الطبيعية منها وفى عام ١٧٧٥ وضع جانبرير Gatterer" نظرية شبكة أنظمة الجبال المتصلة continuous network of mountain systems واتخذها أساسا صالحاً لتقسيم العالم إلى أقاليم طبيعية، لأن العالم ممثلا في حدوده الطبيعية كان أول هدف وضعته الجغرافيا لنفسها

وكان من أهم نتائج هذا الاتجاه الجديد والتجديد في الجغرافية المعاصرة الذي ركز على الجوانب . ظهور الالتباس العلمي المتمثل في ازدواجية العلم الجغرافيا العامة في مقابل الجغرافيا الإقليمية والجغرافيا الطبيعية في مقابل الجغرافيا البشرية، وكان من الطبيعي أن يؤدى تقسيم العلم إلى شقين طبيعي وبشرى إن يظهر تياران فكريان متناظران يؤيد كل تيار منهما احد هذين الشقين.

ويمكن القول أنه نتيجة لتأثر تطور علم الجغرافيا بالعلوم الطبيعية المتخصصة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر فان هذا العلم قد تبدل . لبعض الوقت . وكأنه قد تحول إلى ميدان مختلف تماما من حيث الخصائص عما كان عليه في الفترة الهمبو رترية Himbo kirie era خاصة بعد أن شق إلى قسميه الطبيعي والبشرى، ولكن مع بداية القرن العشرين عادت الجغرافيا لأفكار رتر و همبولت

وعندما بدأت أوربا تعرف البحث في العلوم الطبيعية البحثة نتيجة للثورات العلمية التي أحدثتها نظريات فترة ما قبل نهاية عصر النهضة وبعدهاء كنظريات: كوبرنيكوس جاليليو ونيوتن، والتي أدت في مجموعها ، إلى إنهاء العلاقة مع الفكر الكلاسيكي المعتمد على التعليل المنطقي للسلوك من ناحية والى إتباع نمط جديد من الفكر يعتمد على التجربة والفلسفة التجريبية التي كونت الأسس الحديثة للبحث العلمي الحديث الذي اعتمد القانون الطبيعي